



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"شميني" هو النص الأسبوعي الثاني من كتاب "فقيرا" (أي سفر اللاويين)، ويبدأ هذا النص الأسبوعي من الآية الأولى من المقطع السادس، وينتهي بالآية السادسة والثلاثين من المقطع الثامن.

أَلَا تُحَاوِلَ أَنْ تَكُونَ مَا لَسْتَ عَلَيْهِ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

يعرف القادة العظامُ حدودَهم، فلا يُحاولون أن يقوموا بكلِّ شيءٍ وحدَهم. إنَّما يُشكِّلون فرقاً، ويُفسِّحون المجالَ لمن يمتلكون المهاراتِ في مجالاتٍ يفتقر القادةُ إلى المهارات اللازمة فيها. وهم يُدركون أهميَّةَ الفصل بين السلطاتِ والتَّوازنِ بينها والرَّقابة المُتبادلة. ويحيط القادةُ بأنفسَهم بأشخاصٍ يختلِفون عنهم، ويُدركون خطرَ حصر السلطة كُلِّها في يدِ فردٍ واحد. غيرَ أنَّ معرفةَ الإنسانِ لحدوده، وإدراكه أنَّ هُناكَ أشياءً لا يستطيع القيام بها، بل حتَّى عدم قدرته على أن يكون ما يريد، قد يكونُ تجربةً مُؤلمة، والتي قد تُنطوي أحياناً على أزمةٍ نفسيةٍ داخلية.

تحتوي التوراةُ على أربعةٍ مواقفٍ بديعةٍ تُجسِّدُ مثلَ هذه الأزمات الداخلية، وترتبط هذه المواقفُ معاً بالألحان والموسيقى أكثر من ارتباطها بالكلمات. فمُنذُ زمنٍ مُبكرٍ من تاريخِ الشَّعبِ اليهودي، لم تكن التوراةُ تُقرأُ فحسب، بل كانت تُتلى مُغناةً أيضاً. وقد دعا نبيُّ الله ورسوله موشيه/موسى في أواخرِ حياتِهِ التوراةَ "نَشِيداً"، كما ورد في الآية التاسعة عشرة من المقطع الحادي والثلاثين من سفر التثنية. ومع تطوُّرِ تقاليد تلاوة التوراة في أرضِ إسرائيل، ثُمَّ في المنفى البابلي، بدأت عمليةُ تنظيمِ الألحان، حتَّى وُضعت منذ القرن العاشر الميلاديِّ علاماتٌ موسيقيةٌ مُعيَّنة للتلاوة تُعرَفُ باسم "طعامي هامقرا"، أي "علاماتُ الترتيل"، وُضعتُها الماسوريُّون الطَّبْرِيُّونَ،* الذين يُعتبرون حُرَّاسَ النصوصِ المُقدَّسة في الديانة اليهودية.

*ملاحظة توضيحية من المُترجم: الماسوريُّون كانوا جماعاتٍ من الكُتَّابِ والعُلَماءِ اليهود الذين عاشوا ما بين القرن الخامس والقرن العاشر الميلادي، تركزوا أساساً في طبريا وأورشليم القدس وفي بلادٍ ما بينَ النهرين (سوريا ونهر دجلة). وقد وضعوا أنظمةً من الضبط النحوي وعلامات تشكيل (تُسمى بالـ"تيقود" في العبرية) على النصِّ التوراتي، لضبط النطق والتلاوة، وتحديد مقاطعه وآياته، وتوحيد قراءته في كافَّة أنحاء العالم اليهودي.

ومن بين تلك العلامات الموسيقية نغمة نادرة جدًا تُسمّى "شَلِشِلِت" (שְׁלִישִׁילַת) أي "السلسلة"، ولا تظهر في أسفار التوراة الخمسة سوى أربع مرّات. وكلّما وُضعت على كلمة ما، كانت إشارة إلى أزمة وجودية داخلية. وقد ظهرت هذه النغمة ثلاث مرّات في سفر التكوين، وظهرت في الممرّة الرابعة في هذا النصّ التوراتي الأسبوعي الذي بين أيدينا، بإشارة "تساف". وكما سنرى، كان ظهورها في الممرّة الرابعة يتعلّق بالقيادة، وبمعنى أوسع، يُمكن القول إنّ ظهورها في الحالات الثلاثة الأولى كان يتعلّق أيضًا بالقيادة.

الحالة الأولى: لوط

تظهر علامة "الشَلِشِلِت" أول مرّة في قصّة لوط الذي انفصلَ عن عمّه أفرهام/إبراهيم، وسكّن في مدينة سدوم. هنالك اندمَج مع السكان المحليين، وزوّج بناته رجالًا من المدينة، وكان يجلس عند بوابة المدينة، وهو ما يُعدّ إشارة على أنّه قد أصبح قاضيًا هناك. وحين جاءه ملاكان من عند الله عزّ وجلّ ليأمرّاه بالخروج لأنّ الهلاك على وشك أن يقع على المدينة، تردّد لوط. وفوق كلمة "فَيْتَمَهْمَه"، أي "تباطأ"، تظهر "الشَلِشِلِت". لقد كان لوط مُمرّقًا بين إيمانه بأنّ الملاكين على صواب، وبأنّ المدينة ستُدمّر لا محالة، وبين هويته الجديدة في سدوم واستثماره فيها من أجل مستقبله هو وبناته. ولو لم يُمسكّ الملاكان بيديه ويُخرّجاه إلى برّ الأمان، لظلّ يماطل حتى فوات الأوان، ولهلك مع سكّان المدينة.

الحالة الثانية: إيعيزر الدمشقي

تظهر علامة "الشَلِشِلِت" للمرّة الثانية حين طلبَ أفرهام من عبده، الذي عُرف في التقاليد اليهودية باسم إيعيزر، أن يبحث عن زوجة لابنه يتسحق/إسحق. وهنا يشعُر إيعيزر برّدٍ داخليّ بالغ، فإذا لم يتزوج يتسحق وينجب أبناء، سيرث إيعيزر أو نسله ممتلكات أفرهام. وقد سمِع إيعيزر ذلك بالفعل من أفرهام، كما ورد في الآية الثانية من المقطع الخامس عشر من سفر التكوين: "قَالَ أَفْرَاهَامُ: اَللّٰهُمَّ يَا رَبِّيْ، مَاذَا تُعْطِيْنِيْ، وَأَنَا مُنْصَرِفٌ عَقِيْمًا، وَدُو قَائِدٍ مُّزِلِّيْ (أي وارث ممتلكاتي)، إِيْعَازَرُ الدَّمْشَقِيُّ..."

فلو أخفق إيعيزر في مهمّته، وظلّ يتسحق بلا زوجة ولا نسل، لانتقلت ثروة أفرهام إليه أو إلى نسله. وهكذا تتصارع في نفس إيعيزر غريزتان، هما الوفاء والطموح، لكنّ وفاءه لسيّده أفرهام يغلب طموحه الشخصي، كما ورد في الآية الثانية عشرة من المقطع الرابع والعشرين من سفر التكوين: "وَقَالَ: اَللّٰهُمَّ يَا إِلَهَ مَوْلَايْ أَفْرَهَامَ، وَفَقِيْ يَبْنَ يَدَيَّ الْيَوْمَ، وَأُحْسِنُ، بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَى مَوْلَايْ أَفْرَهَامَ". لقد تغلّبت أمانته ووفاءه على أنانيّته، لكنه لم يسلم من الصراع الداخليّ، وهنا أيضًا تظهر علامة "الشَلِشِلِت".

الحالة الثالثة: يوسف

يرتبط الظهور الثالث لعلامة "الشَلِشِلِت" بحياة يوسف في مصر. فبعد أن باعه إخوته عبدًا، أصبح يعمل في بيت بوتيفار أحد أعيان مصر. وذات يوم، عندما تُركّ لوحده في البيت مع زوجة سيّده، راودته عن نفسه بسبب وسامته، فأبى أن يستسلم لإغوائها، كما ورد في الآية الثامنة من المقطع التاسع والثلاثين من سفر التكوين: "فَأَبَى وَقَالَ لَهَا: هُوَذَا مَوْلَايْ، لَا يَعْرِفُ مَعِيَ بِمَا فِي الْمَنْزِلِ، وَجَمِيعُ مَا لَهُ، قَدْ جَعَلَهُ فِي يَدَيَّ". تظهر فوق كلمة "أبى" علامة "الشَلِشِلِت". وقد فسّرت بعض المصادر الحاخامية والتفاسير من العصر الوسيط ظهور "الشَلِشِلِت" على أنّها إشارة إلى أنّ يوسف رفض إغواءها بعد جهدٍ عظيم.¹ لقد كان قاب قوسين أو أدنى من الاستسلام، وكان صراعه الداخليّ يتجاوز كونه صراعًا معتادًا بين الشهوة والخطيئة، إذ كان أيضًا صراعًا بين هويتين، اضطرم في نفس يوسف الذي يعيش الآن في أرضٍ جديدة وغريبة عليه، بعد أن رفضه إخوته، وبيّنوا له بوضوح أنّهم يرفضون أن يكون جزءًا من عائلتهم: فهل أصبح الآن مصريًا يتصرّف كما يتصرّف

1. Tanhuma, Vayeshev 8, cited by Rashi in his commentary to Genesis 39:8.

المصريون؟ ولماذا لا يستسلم لزوجته سيده إذا كان ذلك ما تريده؟ إنَّ السؤال الذي طرحه يوسف على نفسه لم يكن فقط: "هل هذا فعلٌ صائبٌ؟"، بل كان أيضًا: "هل أنا مصريٌّ أم فردٌ من بني إسرائيل (أي يهودي) يلتزمُ بشريعة الله عز وجل؟".

تدور جميعُ هذه الحالات الثلاث حول صراع الهويّة، وتُجسّد لحظاتٍ يُجبرُ فيها الإنسان أن يُقرّر ليس فقط: "ماذا عليّ أن أفعل؟"، بل أيضًا: "أيُّ إنسانٍ سأكون؟". وهذا السؤالُ يُصيحُ مصريًّا أكثر حين يطرحه القائد على نفسه. وهنا نُصلُّ إلى الحالة الرابعة، المرتبطة بنبي الله ورسوله موشيه.

فبعد خطيئة العجل الذهبي، أمر الله عز وجل نبيه ورسوله موشيه أن يوجّه بني إسرائيل لبناء "المشكان"، الذي سيكون رمزًا دائمًا لحضور الله عز وجل بينهم، حيث تحلُّ "الشّخيناه" (أي السّكينة) في وسط الشعب. وحين اكتمل العمل، لم يتبقَّ إلّا أن يُنصب نبي الله ورسوله موشيه أخاه آهارون/هارون وأبناءه في منصبهم الكهنوتي، فألبس موشيه أخاه آهارون الزي الخاص بالكاهن الأكبر، ومسّحه بالزيت، وقام بذبح وتقديم الذبائح التي تليق بهذه المناسبة. وفوق كلمة "فیشحط"، أي "ودّبح [كبش القربان]"، كما ورد في الآية الثالثة والعشرين من المقطع الثامن من سفر اللاويين، تظهُر علامة "شَلِشِلِت". ونحن نعلم الآن أنّ هذه العلامة تُشيرُ إلى صراعٍ داخليٍّ في قلب نبي الله ورسوله موشيه، لكن ما طبيعة هذا الصراع؟ إذ لا توجدُ في النصّ أيُّ إشارةٍ توحى بأنّه يمرُّ بأزمةٍ ما.

ومع ذلك، يكفي القليل من التأمل لتتضح لنا طبيعة هذا الاضطراب الداخلي الذي كان يُعانيه نبي الله ورسوله موشيه، فحتّى ذلك الحين كان هو القائد الأوحّد للشعب. وكان آهارون، أخوه الأكبر، يساعد، ويُرافقه في مهامّه أمام فرعون، ويتكلّم بلسانه ويَقِفُ دومًا إلى جانبه، فيؤدّي بذلك دور الناطق باسمه والمساعد له والقائد الثاني بعده. أمّا الآن، يستعدُّ آهارون لتوليّ دورٍ قياديٍّ جديدٍ مُستقلٍّ، فلم يُعد ظلًّا لموشيه، بل سيَتولّى القيام بما لا يستطيع نبي الله ورسوله موشيه القيام به بنفسه، إذ سيُشرف على تقديم القرابين اليومية في "المشكان"، ويؤدّي "عقوداه"، أي العبادة المقدّسة لبني إسرائيل أمام الله عز وجل.

ومرّةً كلّ عام، في يوم كيبور، أي يوم الغفران، سيقوم آهارون بالخدمة التي تضمن للشعب التكفير عن خطاياهم. إنّهُ الآن يخرجُ من ظلِّ أخيه، ليصبح القائد الذي لم يُقدّر لبني الله ورسوله موشيه أن يكونه: وهو الكاهن الأكبر.

ويُضيف التلمودُ بعدًا آخر يعمّق ألم اللحظة ومغزاها المؤثّر. فحين دُعي نبي الله ورسوله موشيه عند العليقة المُستعلة (الكلمة المذكورة في التوراة لوصفها هي "سِنه")، قاوم دعوة الله عز وجل له لقيادة الشعب مرّاتٍ عدّة، حتّى قال له الله عز وجل في النهاية إنّ آهارون سيخُرجُ معه ليساعده ويتكلّم عنه، كما ورد ابتداءً من الآية الرابعة عشرة وانتهاءً بالآية السادسة عشرة من المقطع الرابع من سفر الخروج. ويقول التلمود (باب "زُفاحيم" 102 أ) إنّ نبي الله ورسوله موشيه فقد في تلك اللحظة فرصته لأن يكون كاهنًا، حيث قال الله عز وجل له: "لقد كان مقصدي بادئ الأمر أن تكون أنت الكاهن، ويكون آهارون أخوك لاويًا. والآن، (بما أنك قاومت دعوتي)، سيكون هو الكاهن وأنت ستكون لاويًا".

وهذا هو الصراع الداخلي لنبي الله ورسوله موشيه، الذي تُعبّرُ عنه علامة "شَلِشِلِت"، إذ إنّهُ على وشك تنصيب أخيه في منصبٍ لن يشغله هو نفسه أبدًا. كان يمكن أن تسير الأمور بشكل مختلف، لكنّ الحياة لا تُعاشُ في عالمٍ "ما كان يمكن أن يكون". ولا شكّ في أنّ نبي الله ورسوله موشيه كان يشعر بالفرح من أجل أخيه، لكنّه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يتجنّب تمامًا الشعور بالخسارة. ولعلّه استشعر حينها ما سيكتشفه لاحقًا، أنّه، وعلى الرغم من كونه النبي ومُحرّر الشعب، سيُحرّم من ميّةٍ حظيَ آهارون بها، وهي أن يرى أبناءه وأحفاده يرثون منصبه. فابن الكاهن يُصبح كاهنًا، أمّا ابن النبي فنادرًا ما يصير نبيًا.

وَتُخْبِرُنَا هَذِهِ الْقِصَصُ الْأَرْبَعُ أَنَّهُ يَأْتِي وَقْتُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا يَجِدُ فِيهِ نَفْسَهُ مَضْطَرًا أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارًا حَاسِمًا مَتَعَلِّقًا بِهُوِيَّتِهِ. إِنَّهُ لِحِظَةٌ الْحَقِيقَةُ الْوُجُودِيَّةُ: فَلُوطُ عِبْرِيٌّ، وَلَيْسَ مُوَاطِنًا مِنْ سُدُومَ، وَالْبَعِيزَرُ عَبْدُ أَفْرَهَامَ، لَا وَارِثُهُ، وَيُوسُفُ ابْنُ يَعْقُوفَ/يَعْقُوبَ، لَيْسَ مِصْرِيًّا مَنَحَلَّ الْأَخْلَاقِ، وَمُوشِيهِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَلَيْسَ كَاهِنًا. وَلَكِي نَقُولُ "نَعَمْ" لِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَنُقَرِّرُ بِهُوِيَّتِنَا، عَلَيْنَا أَنْ نَمْلِكَ الشَّجَاعَةَ لِنَقُولَ "لَا" لِمَا لَسْنَا عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ يَكْمُنُ الْأَلَمُ وَالصَّرَاعُ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْ"شَلْشِلَتِ"، لَكِنْ حِينَ نَفْعَلُ ذَلِكَ، نَخْرُجُ أَقْلًا نَمْرُقًا مِمَّا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ.

وهذا يَنْطَبِئُ بِشَكْلٍ خَاصٍّ عَلَى الْقَادَةِ، وَلِهَذَا السَّبَبُ يَكْتَسِبُ مَا حَدَّثَ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُوشِيهِ فِي هَذَا النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ الْأَسْبُوعِيِّ أَهَمِّيَّةً كُبْرَى. فَهُنَاكَ أُمُورٌ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ الْقِيَامُ بِهَا: لَنْ يُصْبِحَ كَاهِنًا، فَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَهْمَةُ عَلَى عَاتِقِ آهَارُونَ. وَلَنْ يَقُودَ شَعْبَهُ عِبْرَ نَهْرِ الْأَرْدُنِّ، فَهَذَا كَانَ دَوْرُ يَهُشُوعَ/يُوشَعَ بْنِ نُونٍ. وَكَانَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُوشِيهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَاتَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ بِرَحَابَةٍ صَدْرٍ لِكَيْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ نَفْسِهِ. فَالْقَادَةُ الْعِظَامُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ مَعَ الَّذِينَ يَقُودُونَهُمْ.

لَا يَجِبُ عَلَى الْقَائِدِ أَنْ يُحَاوَلَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ لَجَمِيعِ النَّاسِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْنَعَ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ. إِنَّ الْقَادَةَ الْعِظَامَ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْقُوَّةِ لِيَعْرِفُوا مَا الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكُونُوهُ، حَتَّى يَمْتَلِكُوا الشَّجَاعَةَ لِيَكُونُوا أَنْفُسَهُمْ.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG